من رسائل شيخ الإسلام
(٢)

الزهد والورع والعبادة

تأليف
شيخ الإسلام ابن تيمية

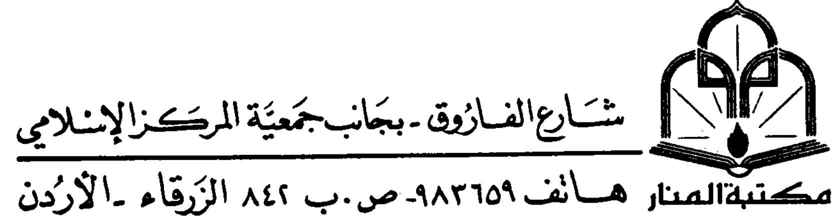
تحقيق
حماد سلامة

إشراف
الدكتور محمد عويضة



الزُّهدُ والورعُ والعبادةُ

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م



المقـــدّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم إلى يوم الدين، وبعد:

فلا شك أننا نعيش في عصر يكتظ بالكثير من المغريات والأهواء والفتن والشهوات وطرق الضلال والغي التي قد تنجذب لها بعض النفوس فتميل عن الصراط المستقيم والنهج القويم الذي أراده لها خالقها عز وجل، وارتضاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، لذا فإن النفس البشرية بحاجة ماسة لمن يحذرها من خطر مثل هذه الشهوات والأهواء، ويرشدها لطرق الزهد والورع المشروعة في الدنيا، وينبهها للعبادة المشروعة والتقوى وتزكية النفس والسمو بها وترك المحرمات وفعل المأمورات ويوصيها بما فيه صلاح الدين والدنيا، ولا شك أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد تحدث في هذه الأمور وغيرها حديث العالم المتبحر الذي ينهل من معين الثقافة الإسلامية الواسعة الذي لا ينضب، وعلى هذا الأساس اخترنا بعض الفصول والرسائل التي تحدث فيها الإمام ابن تيمية عن الزهد والورع والعبادة ونحو ذلك في مجلد السلوك من مجموع الفتاوى وقمنا بخدمتها كما يلي:

١ ـ الترجمة المختصرة لابن تيمية.

٢ ـ تخريج الآيات القرآنية الكريمة.

٣ ـ تخريج الأحاديث الشريفة تخريجاً وسطاً فلا هو طويل ممل ولا قصير مخل.

٤ ـ الترجمة لبعض الأعلام الذين ورد ذكرهم.

٥ ـ شرح المفردات الغريبة.

٦ ـ وضع عناوين داخلية للموضوعات.

٧ ـ وضع فهارس للآيات والأحاديث والموضوعات.

ونسأل الله أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يُنتفع به وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حمّاد سلامة

ترجمة ابن تيمية

هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم . الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية: الإمام شيخ الإسلام، ولد في حران سنة ٦٦١هـ وتحوَّل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها فقصدها فتحامل عليه جماعة من أهلها فسجن مدة ونُقل إلى الإسكندرية ثم أطلق سراحه، فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ وأطلق ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، له مصنفات كثيرة وقد جمعها تلميذه ابن القيم في رسالة له طبعها الدكتور صلاح الدين المنجد، وقد تقدمت له ترجمة وافية في الرسالة التي نشرناها له بعنوان «التحفة العراقية في الأمراض القلبية»[1].

---

(١) [انظر ترجمته في البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٣٧، الشذرات ج ٦ ص ٨١، فوات الوفيات ج ١ ص ٧٤، طبقات الحفاظ ص ٥٢٠، والعبر للذهبي ج ٤ ص ٨٤، الأعلام ج ١ ص ١٤٤، وله ترجمة مستفيضة في المطولات].

الفَصْلُ السَّادِسُ

[الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل:]

وسئل الشيخ الإمام، العالم العامل، الحبر الكامل، شيخ الإسلام ومفتي الأنام تقي الدين «ابن تيمية» أيده الله وزاده من فضله العظيم. عن (الصبر الجميل) و(الصفح الجميل) و(الهجر الجميل) وما أقسام التقوى والصبر الذي عليه الناس[1]؟

فأجاب، رحمه الله:

الحمد لله. أما بعد: فإن الله أمر نبيه بالهجر الجميل، والصفح الجميل والصبر الجميل. فـ«الهجر الجميل» هجر بلا أذى، و«الصفح الجميل» صفح بلا عتاب، و«الصبر الجميل» صبر بلا شكوى. قال يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾[2] مع قوله: ﴿فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون﴾[3]، فالشكوى إلى الله لا تنافي الصبر الجميل، ويروى عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول: «اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث وعليك التكلان»، ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت

---

(١) مسألة في الهجر الجميل والصفح الجميل وأقسام التقوى والصبر «من هامش مجموع الفتاوى، ج ١٠ ص ٦٦٦».

(٢) الآية ٨٦ من سورة يوسف.

(٣) الآية ١٨ من سورة يوسف.

رب المستضعفين وأنت ربـي، اللهم إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بـي سخطك، أو يحل علي غضبك، لك العتبـى حتى ترضى»(١).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في صلاة الفجر: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾(٢) ويبكي حتى يسمـع نشيجه من آخـر الصفوف؛ بخلاف الشكوى إلى المخلوق. قرىء على الإمام أحمد في مرض موته أن طاووساً كره أنين المريض. وقال: إنه شكوى. فما أنَّ حتى مات. وذلك أن المشتكي طالب بلسان الحال، إما إزالة ما يضره أو حصول ما ينفعه والعبد مأمور أن يسأل ربه دون خلقه، كما قال تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب﴾(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»(٤).

ولا بد للإنسان من شيئين: طاعته بفعل المأمور، وترك المحظور، وصبره على ما يصيبه من القضاء المقدور. فالأول هو التقـوى، والثاني هو الصبر. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً﴾(٥) إلى قوله: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا

---

(١) الحديث رواه: الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات قاله الهيثمي [انظر مجمع الزوائد، ج ٦ ص ٣٥].
(٢) الآية ٨٦ من سورة يوسف.
(٣) الآيتان ٧ ــ ٨ من سورة الشرح.
(٤) الحديث رواه: الترمذي في أبواب صفة القيامة، ج ٣ ص ٧٦، وقال هذا حديث حسن صحيح؛ وأحمد في مسنده، ج ١ ص ٢٩٣.
(٥) الآية ١١٨ من سورة آل عمران.
(٦) الآية ١٢٠ من سورة آل عمران.

ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾(١)، وقال تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾(٢)، وقد قال يوسف: ﴿أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾(٣).

[وصية الشيخ عبدالقادر:]

ولهذا كان الشيخ عبدالقادر(٤) ونحوه من المشائح المستقيمين يوصون في عامة كلامهم بهذين الأصلين: المسارعة إلى فعل المأمور، والتقاعد عن فعل المحظور، والصبر والرضا بالأمر المقدور. وذلك أن هذا الموضع غلط فيه كثير من العامة؛ بل ومن السالكين، فمنهم من يشهد القدر فقط ويشهد [الحقيقة الكونية] دون [الدينية] فيرى أن الله خالق كل شيء وربه، ولا يفرق بين ما يحبه الله ويرضاه، وبين ما يسخطه ويبغضه، وإن قدره وقضاه ولا يميز بين توحيد الألوهية، وبين توحيد الربوبية فيشهد الجمع الذي يشترك فيه جميع المخلوقات ــ سعيدها وشقيها ــ مشهد الجمع الذي يشترك فيه المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والنبي الصادق والمتنبىء

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٨٦ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ٩٠ من سورة يوسف.

(٤) هو عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد محيي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين ولد في جيلان (وراء طبرستان) سنة ٤٧١هـ وانتقل إلى بغداد شاباً سنة ٤٨٨هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف وبرع في أساليب الوعظ وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب واشتهر. توفي سنة ٥٦١هـ. [انظر ترجمته في: الأعلام، ج ٤ ص ٤٧؛ وفوات الوفيات، ج ٢ ص ٣٧٣؛ وشذرات الذهب، ج ٤ ص ١٩٨].

الكاذب، وأهل الجنة وأهل النار، وأولياء الله وأعداؤه، والملائكة المقربون والمردة الشياطين.

[أفهام خاطئة في القضاء والقدر:]

فإن هؤلاء كلهم يشتركون في هذا الجمع وهذه «الحقيقة الكونية» وهو أن الله ربهم وخالقهم ومليكهم لا رب لهم غيره. ولا يشهد الفرق الذي فرق الله [به] بين أوليائه وأعدائه، وبين المؤمنين والكافرين، والأبرار والفجار، وأهل الجنة والنار وهو توحيد الألوهية، وهو عبادته وحده لا شريك له، وطاعته وطاعة رسوله، وفعل ما يحبه ويرضاه، وهو ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب، أو أمر استحباب، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد واللسان. فمن لم يشهد هذه «الحقيقة الدينية» الفارقة بين هؤلاء وهؤلاء، ويكون مع أهل «الحقيقة الدينية» وإلا فهو من جنس المشركين، وهو شر من اليهود والنصارى.

[إقرار المشركين بالحقيقة الكونية:]

فإن المشركين يقرون بالحقيقة الكونية. إذ هم يقرون بأن الله رب كل شيء كما قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون؟ سيقولون: لله، قل: أفلا تذكرون؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون: لله، قل: أفلا تتقون؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون؟ سيقولون: لله، قل: فأنى تسحرون؟﴾[2]، ولهذا قال سبحانه: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم

(١) الآية ٢٥ من سورة لقمان.

(٢) الآيات ٨٤ ــ ٨٩ من سورة (المؤمنون).

مشركون﴾[1]. قال بعض السلف: تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره.

فمن أقر بالقضاء والقدر دون الأمر والنهي الشرعيين فهو أكفر من اليهود والنصارى، فإن أولئك يقرون بالملائكة والرسل الذي جاءوا بالأمر والنهي الشرعيين لكن آمنوا ببعض وكفروا ببعض. كما قال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقاً﴾[2].

وأما الذي يشهد «الحقيقة الكونية» وتوحيد الربوبية الشامل للخليقة ويقر أن العباد كلهم تحت القضاء والقدر، ويسلك هذه الحقيقة، فلا يفرق بين المؤمنين والمتقين الذين أطاعوا أمر الله الذي بعث به رسله، وبين من عصى الله ورسوله من الكفار والفجار، فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى. لكن من الناس من قد لمحوا الفرق في بعض الأمور دون بعض، بحيث يفرق بين المؤمن والكافر، ولا يفرق بين البر والفاجر أو يفرق بين بعض الأبرار، وبين بعض الفجار، ولا يفرق بين آخرين اتباعاً لظنه وما يهواه. فيكون ناقص الإيمان بحسب ما سوى بين الأبرار والفجار، ويكون معه من الإيمان بدين الله تعالى الفارق بحسب ما فرق به بين أوليائه وأعدائه.

ومن أقر بالأمر والنهي الدينيين دون القضاء والقدر كان من القدرية كالمعتزلة وغيرهم الذين هم مجوس هذه الأمة، فهؤلاء يشبهون المجوس، وأولئك يشبهون المشركين الذين هم شر من المجوس.

---

(١) الآية ١٠٦ من سورة يوسف.

(٢) الآيتان ١٥٠ ـ ١٥١ من سورة النساء.

ومن أقر بهما وجعل الرب متناقضاً، فهو من أتباع إبليس الذي اعترض على الرب سبحانه وخاصمه كما نقل ذلك عنه.

فهذا التقسيم في القول والاعتقاد.

[أقسام الناس في العبادة:]

وكذلك هم في «الأحوال والأفعال». فالصواب منها حالة المؤمن الذي يتقي الله فيفعل المأمور، ويترك المحظور، ويصبر على ما يصيبه من المقدور، فهو عند الأمر والنهي والدين والشريعة ويستعين بالله على ذلك. كما قال تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾(١).

وإذا أذنب استغفر وتاب: لا يحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات، ولا يرى للمخلوق حجة على رب الكائنات، بل يؤمن بالقدر ولا يحتج به، كما في الحديث الصحيح الذي فيه: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»(٢)، فيقر بنعمة الله عليه في الحسنات، ويعلم أنه هو هداه ويسره لليسرى، ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب منها، كما قال بعضهم: أطعتك بفضلك، والمنة لك وعصيتك بعلمك، والحجة لك، فأسألك بوجوب حجتك علي

---

(١) الآية ٥ من سورة الفاتحة.

(٢) الحديث رواه: البخاري في كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ج ١١ ص ٩٧/٩٨؛ والترمذي في أبواب الدعوات، ج ٥ ص ١٣٥؛ والنسائي في كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر ما صنع، ج ٨ ص ٢٧٩/ ٢٨٠؛ وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، ج ٢ ص ١٢٧٤؛ وأحمد في مسنده، ج ٤ ص ١٢٢؛ وأبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، ج ٥ ص ٣١٢.

وانقطاع حجتي، إلا غفرت لي. وفي الحديث الصحيح الإلهي: «يا عبادي إنما هي أعمالكم، أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1].

وهذا له تحقيق مبسوط في غير هذا الموضع.

وآخرون قد يشهدون الأمر فقط: فتجدهم يجتهدون في الطاعة حسب الاستطاعة؛ لكن ليس عندهم من مشاهدة القدر ما يوجب لهم حقيقة الاستعانة والتوكل والصبر. وآخرون يشهدون القدر فقط فيكون عندهم من الاستعانة والتوكل والصبر ما ليس عند أولئك؛ لكنهم لا يلتزمون أمر الله ورسوله واتباع شريعته، وملازمة ما جاء به الكتاب والسنة من الدين فهؤلاء يستعينون الله ولا يعبدونه، والذين من قبلهم يريدون أن يعبدوه ولا يستعينوه؛ والمؤمن يعبده ويستعينه.

و «القسم الرابع» شر الأقسام، وهو من لا يعبده ولا يستعينه، فلا هو مع الشريعة الأمرية؛ ولا مع القدر الكوني. وانقسامهم إلى هذه الأقسام هو فيما يكون قبل وقوع المقدور من توكل واستعانة ونحو ذلك؛ وما يكون بعده من صبر ورضا ونحو ذلك. فهم في التقوى وهي طاعة الأمر الديني، والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني أربعة أقسام.

[أقسام الناس في التقوى والصبر:]

(أحدها): أهل التقوى والصبر، وهم الذين أنعم الله عليهم من أهل السعادة في الدنيا والآخرة.

(والثاني): الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر. مثل الذين يمتثلون

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب البر، باب تحريم الظلم، ج ٤ ص ١٩٩٤؛ وأحمد في مسنده، ج ٥ ص ١٦٠.

ما عليهم من الصلاة ونحوها، ويتركون المحرمات، لكن إذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو في ماله أو في عرضه، أو ابتلي بعدو يخيفه عظم جزعه وظهر هلعه.

و (الثالث): قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى، مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم في مثل أهوائهم، كاللصوص والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام؛ والكتاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الأموال بالخيانة وغيرها. وكذلك طلاب الرئاسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الأذى التي لا يصبر عليها أكثر الناس، وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل العشق وغيرهم يصبرون في مثل ما يهوونه من المحرمات على أنواع من الأذى والآلام. وهؤلاء هم الذين يريدون علواً في الأرض أو فساداً من طلاب الرئاسة والعلو على الخلق، ومن طلاب الأموال بالبغي والعدوان، والاستمتاع بالصور المحرمة نظراً أو مباشرة وغير ذلك يصبرون على أنواع من المكروهات، ولكن ليس لهم تقوى فيما تركوه من المأمور، وفعلوه من المحظور، وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب: كالمرض والفقر وغير ذلك، ولا يكون فيه تقوى إذا قدر.

(وأما القسم الرابع) فهو شر الأقسام: لا يتقون إذا قدروا، ولا يصبرون إذا ابتلوا؛ بل هم كما قال الله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً، إذا مسه الشر جزوعاً، وإذا مسه الخير منوعاً﴾[1]، فهؤلاء تجدهم من أظلم الناس وأجبرهم إذا قدروا، ومن أذل الناس وأجزعهم إذا قهروا. إن قهرتهم ذلوا لك ونافقوك، وحابوك واسترحموك ودخلوا فيما يدفعون به عن أنفسهم من أنواع الكذب والذل وتعظيم المسؤول، وإن

---

(١) الآيات ١٩ ـ ٢١ من سورة المعارج.

قهروك كانوا من أظلم الناس وأقساهم قلباً، وأقلهم رحمة وإحساناً وعفواً، كما قد جربه المسلمون في كل من كان عن حقائق الإيمان أبعد: مثل التتار الذين قاتلهم المسلمون ومن يشبههم في كثير من أمورهم. وإن كان متظاهراً بلباس جند المسلمين وعلمائهم وزهادهم وتجارهم وصناعهم، فالاعتبار بالحقائق: «فإن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[1].

فمن كان قلبه وعمله من جنس قلوب التتار وأعمالهم كان شبيهاً لهم من هذا الوجه، وكان ما معه من الإسلام أو ما يظهره منه بمنزلة ما معهم من الإسلام وما يظهرونه منه، بل يوجد في غير التتار المقاتلين من المظهرين للإسلام من هو أعظم ردة وأولى بالأخلاق الجاهلية، وأبعد عن الأخلاق الإسلامية، من التتار.

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في خطبته: «خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[2]. وإذا كان خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، فكل من كان إلى ذلك أقرب وهو به أشبه كان إلى الكمال أقرب، وهو به أحق. ومن كان عن ذلك أبعد وشبهه به أضعف، كان عن الكمال أبعد، وبالباطل أحق. والكامل هو من كان لله أطوع، وعلى ما يصيبه أصبر. فكلما كان أتبع لما يأمر الله به ورسوله وأعظم موافقة لله فيما يحبه ويرضاه، وصبراً على ما قدره وقضاه، كان أكمل وأفضل. وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك.

---

(١) الحديث رواه: مسلم في كتاب البر، باب تحريم ظلم المسلم، ج ٤ ص ١٩٨٧؛ وابن ماجة في كتاب الزهد، باب القناعة، ج ٢ ص ١٣٨٧؛ والإمام أحمد في مسنده، ج ٢ ص ٢٨٥.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه ص ٧٤.

[الصبر والتقوى في الكتاب والسنة:]

وقد ذكر الله «الصبر والتقوى» جميعاً في غير موضع من كتابه وبين أنه ينصر العبد على عدوه من الكفار المحاربين المعاندين والمنافقين، وعلى من ظلمه من المسلمين، ولصاحبه تكون العاقبة. قال الله تعالى: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً، ودوا ما عنتم، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون. ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله. وإذا لقوكم قالوا: آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، قل موتوا بغيظكم، إن الله عليم بذات الصدور، إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط﴾[3]. وقال إخوة يوسف له: ﴿أإنك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[4].

وقد قرن الصبر بالأعمال الصالحة عموماً وخصوصاً، فقال تعالى: ﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾[5].

---

(١) الآية ١٢٥ م سورة آل عمران.
(٢) الآية ١٨٦ من سورة آل عمران.
(٣) الآيات ١١٨ ــ ١٢٠ من سورة آل عمران.
(٤) الآية ٩٠ من سورة يوسف.
(٥) الآية ١٠٩ من سورة يونس.

وفي اتباع ما أوحي إليه التقوى كلها تصديقاً لخبر الله وطاعة لأمره.

وقال تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين. واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾(١)، وقال تعالى: ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والأبكار﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿فاصبر على ما يقولون: وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾(٥)، فهذه مواضع قرن فيها الصلاة والصبر.

وقرن بين «الرحمة والصبر» في مثل قوله تعالى: ﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾(٦). وفي الرحمة الإحسان إلى الخلق بالزكاة وغيرها؛ فإن القسمة أيضاً رباعية، إذ من الناس من يصبر ولا يرحم كأهل القوة والقسوة، ومنهم من يرحم ولا يصبر كأهل الضعف واللين: مثل كثير من النساء، ومن يشبههن، ومنهم من لا يصبر ولا يرحم كأهل القسوة والهلع. والمحمود هو الذي يصبر ويرحم، كما قال الفقهاء في المتولي: ينبغي أن يكون قوياً من غير عنف، ليناً من غير ضعف فبصبره يقوى، وبلينه يرحم، وبالصبر ينصر العبد؛ فإن النصر مع الصبر، وبالرحمة يرحمه الله تعالى. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما يرحم الله من عباده

---

(١) الآيتان ١١٤ ـ ١١٥ من سورة هود.
(٢) الآية ٥٥ من سورة غافر.
(٣) الآية ٣٩ من سورة ق.
(٤) الآية ٤٥ من سورة البقرة.
(٥) الآية ١٥٣ من سورة البقرة.
(٦) الآية ١٧ من سورة البلد.

الرحماء»[1]، وقال: «من لا يرحم لا يرحم»[2]، وقال: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»[3]، وقال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[4]. والله أعلم. انتهى.

* * *

---

(١) الحديث رواه: البخاري في كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه» ج ٣ ص ١٥١؛ ومسلم في كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ج ٢ ص ٦٣٦؛ وأبو داود في الجنائز، باب في البكاء على الميت، ج ٣ ص ٤٩٢؛ وابن ماجه في الجنائز، باب ما جاء في البكاء على الميت، ج ١ ص ٥٠٦؛ والنسائي في الجنائز، باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة، ج ٤ ص ٢٢؛ وأحمد في مسنده، ج ٥ ص ٢٠٤.

(٢) الحديث رواه: البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج ١٠ ص ٤٢٦؛ ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم، ج ٤ ص ١٨٠٩؛ وأحمد في مسنده، ج ٢ ص ٢٢٨؛ والترمذي في أبواب البر، باب ما جاء في رحمة الناس، ج ٣ ص ٢١٦ وغيرهم.

(٣) الحديث رواه: الترمذي في أبواب البر، باب ماجاء في رحمة الناس، ج ٣ ص ٢١٦، وقال: هذا حديث حسن؛ وأحمد في مسنده، ج ٢ ص ٣٠١؛ وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الرحمة، ج ٥ ص ٢٣٢.

(٤) الحديث رواه: أبو داود في كتاب الأدب، باب في الرحمة، ج ٥ ص ٢٣١. ورواه الترمذي في أبواب البر، باب ما جاء في رحمة الناس، ج ٣ ص ٢١٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الفصل الثامن: الهم والعزم	١٤٩
سؤال	١٤٩
الإجابة	١٥٠
سببا الاضطراب	١٥٠
تفاوت الأفعال والصفات	١٥١
الإرادة الجازمة وحكمها	١٥١
إرادة الداعي إلى الهدى والضلال	١٥٣
الإرادة الجازمة مع العجز عن الفعل	١٦٠
العبد بين الهم والعمل وأمثلة لذلك	١٦٥
أوجه خطأ الجهم في الإيمان	١٧٧
محبة الله ورسوله واقترانها بالإرادة	١٧٨
أعمال القلب	١٨٥
أقسام أعمال القلب	١٨٧
حديث النفس والوسوسة	١٨٨
فهارس الكتاب:	
فهرس الآيات القرآنية الكريمة	١٩٨
فهرس الأحاديث الشريفة	٢٠٩
فهرس المصادر والمراجع	٢١٧
فهرس الموضوعات	٢١٩

* * *